شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

انكسارات في الجدار

في الشهر الماضي طرح سؤال جاد عن مدى فاعلية الحصار العسكري والسياسي ، والنفسي أيضا ، وجدواه والذي فرض من حول المقاومة الفلسطينية منذ أيلول ١٩٧٠ تحديدا حيث مثل هذا الحدث (مجزرة أيلول) بداية مرحلة كانت فرضياتها الاساسية المنطلقة من واقع الحصار الذي تعرضت له المقاومة مثقلة بتشاؤم يشبه اليأس الانتحاري ، المفهوم أحيانا اذا أخذت المعطيات الفلسطينية والعربية من حيث هي واقع سكوني غير قابل للانكسار . فانتكاسة المقاومة في الساحة الاردنية واقفال هذه الجبهة في وجه الكفاح الفلسطيني المسلح ، وحظر الانطلاق من قواعد الجنوب اللبناني بحكم الامر الواقع ، بالاضافة الى صمت الجبهات الاخرى التقليدي ، كل ذلك طرح على المقاومة تحديا كاد ان يكون مصيريا وكان مفروضا على المقاومة أن تجابهه معلقة استمرارها ، بل وجودها ذاته ، على هذه المجابهة. وكانت مواجهة هذا التحدي ، ولا تزال ، تضغط في ايجاد خرق في جدر الحصار هذه تنفذ من خلاله المقاومة نحو ممارسة عملها في ساحة الصدام الرئيسية — الارض الفلسطينية — والا فقدت المقاومة بالفعل مبرر وجودها وتحولت الى « احتياطي ثورة » في أحسن الاحوال وأكثرها تفاؤلا . وقد لعبت كثافة الحصار حول المقاومة دورا مهما في طرح الحلول والمشاريع التي استهدفت تصفية القضية الفلسطينية تلك الحلول التي راهن أصحابها — مهما اختلفت نياتهم ومقاصدهم — على ان المقاومة بثقل القيود التي تكبلها والتي تمنعها من الانطلاق غير قادرة على المواجهة والتصدي لهذه الحلول من جهة ، وعاجزة — او مفروض عليها العجز — عن مواصلة نضالها المسلح (مبرر وجودها) من جهة أخرى . لقد كانت المراهنة على عجز المقاومة أخطر فرضيات المرحلة التي ابتدأت بأيلول غير ان الشهر الماضي هز هذه الفرضية حتى الاعماق وكانت عمليات الداخل (راجع جدول العمليات العسكرية في هذا العدد) نقضا فعليا لهذه الفرضية صادرا عن ارض صلبة استندت اليها المقاومة وهي في قلب التحدي الكبير : ان تكون أو لا تكون . فوصول المقاومة الى تل ابيب (٧/٩ ، ٧/١١ ، ٧/١٩) والخضيرة (٧/١٩) وكريات اربع (٧/٢٥) وحيفا (٧/١٦) والخليل (٧/١٦) وجنين (٨/٨) والقدس (٧/١٩) وطبريا (٧/١٧) ، وصولها الى كل هذه الاماكن على الرغم من جدر الحصار التي تحيطها بكل غلاظتها يعني شيئا واحدا : ان علائم جديدة بدأت تظهر على جانبي المسيرة الفلسطينية ان كانت عمليات العمق بعض هذه العلائم البارزة فان تسليط الضوء على بعض هذا البعض ووضعه في اطاره الصحيح يكشف دلالات على ما سوف يكون عليه المستقبل . بعض هذه العمليات التي أشرنا اليه نراه في اثنتين قيمتهما ليست في تأثيراتهما العسكرية او السياسية وانما فيما توحيان من مؤشرات الى كيفية مواجهة المقاومة لطوق الحصار المفروض من حولها . العملية الاولى كانت طعن جندي اسرائيلي خارج الحرم الابراهيمي في الخليل والاستيلاء على سلاحه . وقد ذكرت « رويتر » (٧/١٦) ان بعض السكان قال ان رجلا ركض نحو الجندي بعد طعنه واستولى على مدفعه الرشاش وذخيرته . والعملية الثانية كانت الانفجار الذي حدث في أحد اسواق القدس وقد ذكرت « رويتر » كذلك (٧/١٩) ان القنبلة التي انفجرت كانت من صنع محلي وأوردت تصريحا لناطق باسم الشرطة الاسرائيلية بأن القنبلة كانت زجاجة كوكتيل مولوتوف . هاتان العمليتان ينبغي ان توضعا في اطارهما الصحيح : اكتشاف وسائل الكفاح المناسبة للظروف المعطاة ، او كما أكد الاخ ابو عمار لمحرري « روز اليوسف » (٧/٢٣) : « لقد